تربية

ميرنا الشدياق
mirnachidiac@gmail.com

طلاّب لبنان بين الجامعة والهجرة واللاعودة وطن يفقد عقولاً يحتاجها لبناء المستقبل

تعد هجرة الطلاب اللبنانيين تحديا متفاقما، اذ يغادر نحو ثلث خريجي الثانوية العامة للدراسة في الخارج، وتزداد هذه النسبة في مرحلة الماجستير. تكمن الاسباب الرئيسية في الازمات الاقتصادية والامنية وضيق سوق العمل المحلي. لقد تحولت هذه الهجرة إلى واقع ملموس يهدد بفقدان الكفاءات، مما يتطلب رؤية وطنية لاستعادتهم وتطوير قطاع التعليم

في كل صيف، يعيش آلاف الاهالي اللبنانيين المشهد نفسه: ابن أو ابنة انهيا للتو امتحانات الثانوية العامة، لكن السؤال الذي يشغلهم ليس "أي جامعة في بيروت"؟ بل "أي بلد"؟ فرنسا أم كندا؟ المانيا أم دول الخليج؟ لم تعد الجامعة اللبنانية أو الجامعات الخاصة المحلية الخيار الأول بالنسبة إلى شريحة واسعة من خريجي الثانوية، بل باتت محطة انتظار أو خيارا احتياطيا، بينما تتجه الانظار نحو الخارج.

"ارغب في بدء مشواري في المكان الذي ارى فيه بوضوح مستقبلي"، "لا اريد النظر للوراء مرة اخرى"، "نريد الرحيل..."، وغيرها من العبارات التي تختصر واقع الكثير من الطلاب اللبنانيين الذين يريدون الهروب من مأزق يعيشه البلد منذ سنوات فيما الحلول مؤجلة.

وهنا تكمن الخطورة في فقدان شباب لبنان لشعور الانتماء الى الوطن. فالامل يبدأ بتأشيرة وتذكرة سفر والرحيل بأي ثمن.

لطالما عرف التعليم العالي في لبنان بكونه "جامعة الشرق"، لكنه اليوم يواجه تهديدات حقيقية تمس مكانته التاريخية ومستقبل اجياله الصاعدة. إن المشهد التربوي الراهن يتأرجح بين نقاط مضيئة تتمثل في استمرار تصدر بعض الجامعات اللبنانية للمراتب الأولى عربيا وعالميا، وبين تحديات بنيوية واقتصادية تعيق قدرة مؤسسات اخرى على مواكبة التطور العلمي المتسارع.

تلقي الازمة الاقتصادية والمالية بظلالها الثقيلة على خيارات الطلاب الاكاديمية، فلم يعد الشغف أو التميز هو المعيار الوحيد لاختيار الاختصاص، بل باتت "التكلفة المادية" هي المحرك الاساسي. هذا التعثر المالي لم يصب الطلاب فحسب، بل طال المؤسسات الجامعية التي باتت تعجز عن تحديث مختبراتها وبرمجياتها ومشاغلها التقنية، مما يهدد جودة التعليم التي كانت تميز لبنان.

ولأنه لا يمكن لوم اللبناني على اتخاذ قرار الهجرة واللاعودة، فمن حقه تحقيق طموحاته والبحث عن حياة آمنة وكريمة له ومستقبل افضل لعائلته، فإن هذا الموضوع سيكون أولوية لدى المستوى السياسي في لبنان. فقضية الشباب يجب ان تكون أولوية الأولويات للحفاظ على العقول الشابة التي يعول عليها لاعادة بناء البلد واعادة الثبات والاستقرار لكل قطاعاته ومؤسساته. ولا يجب بالتالي ان تكون هذه الأولوية مفقودة، مما يضطرهم للبحث في الفضاءات الغربية عن مستقبل واعد يجب ان يتوافر لهم في لبنان.

لا تقتصر المشكلة على اعداد المغادرين، بل تمتد الى ما يتركه هذا النزيف خلفه داخل الجامعات. فاختيارات الطلاب بدأت تعيد رسم الخارطة الاكاديمية نفسها، مع تراجع الاقبال على اختصاصات اساسية كالتربية والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتاريخ والجغرافيا، في مقابل تركيز متزايد على اختصاصات يعتقد الطلاب أنها اكثر قدرة على تأمين فرص عمل في الداخل والخارج. وبينما تتسارع التحولات العلمية والتكنولوجية، يجد التعليم العالي نفسه أمام تحدي الحفاظ على توازن دقيق بين متطلبات سوق العمل وضرورة حماية الاختصاصات التي تشكل جزءا من الذاكرة العلمية والثقافية للبنان.

لذلك ان صعوبة الوضع وتعقيداته ، ادت الى جعل هذا الملف اولوية لدى الحكومة ووزارة التربية والتعليم العالي، فقد اجرت وزارة التربية والتعليم العالي تقييما للوضع للوقوف على عمق التحديات، وتم وضع خطط ومشاريع، والسعي الى تأمين التمويل من اجل المحافظة على جودة التعليم العالي وخصوصا لجهة المعايير وانشاء الهيئة الوطنية لضمان الجودة وتفعيلها .

وقد ركزت وزيرة التربية والتعليم العالي ريما كرامي اهتمامها بالتعليم العالي من خلال المواكبة الدائمة وتعيين المدير العام للتعليم العالي مازن الخطيب في مجلس الوزراء.

وبين ازمة اقتصادية لم تحل جذورها منذ 2019، وحرب عطلت حتى امتحانات الثانوية العامة نفسها، يجد آلاف الطلاب اللبنانيين انفسهم امام معادلة صعبة: البقاء في بلد لا يضمن استمرارية تعليمهم ولا فرص عملهم لاحقا، أو الرحيل نحو غد اكثر استقرارا خارج الحدود. وسواء اختار الطالب باريس أو مونتريال أو واشنطن أو بودابست أو موسكو أو كييف، يبقى السؤال الاكبر معلقا: من سيبقى ليبني لبنان الذي غادره كل هؤلاء الشباب؟

في هذا السياق اجرت "الأمن العام" حوارا مع المدير العام للتعليم العالي الدكتور مازن الخطيب عن التحديات التي تواجه التعليم العالي في لبنان ونسبة الطلاب الذين يهجرون وطنهم ولا يعودون، فهل من حلول؟

■ كيف تقيمون واقع التعليم العالي في لبنان اليوم في ظل الازمات الاقتصادية والمالية والحروب؟

□ التعليم العالي في لبنان يمتلك نقاطا مضيئة كثيرة، لكننا في المديرية نعمل على معالجة جوانب اخرى غير جيدة. لقد تسببت الأوضاع الاقتصادية الحالية في تعثر مالي لعدد كبير من الطلاب، مما دفعهم إلى التوجه نحو جامعات تقدم حسومات أو تلك التي تمتاز بأقساط منخفضة نسبيا. علاوة على ذلك، تعجز كثير من الجامعات عن تأمين المستلزمات المادية الضرورية للعملية التعليمية، كالمختبرات والمشاغل والاستوديوهات، وتحديث البرمجيات لمواكبة العصر، وهذا يؤثر سلبا على جودة التعليم. كما ان الازمة اثرت على توجهات الطلاب الذين باتوا يختارون اختصاصاتهم بناء على التكلفة المادية الارخص وليس بناء على رغبتهم الاكاديمية.

81 عاماً
تصميم. إنجاز. مثابرة

المدير العام للتعليم العالي الدكتور مازن الخطيب.

■ ما هي ابرز التحديات التي تواجه الجامعات اللبنانية بشكل عام؟

□ التحدي الابرز هو مدى القدرة على مواكبة التطور العلمي في مجالات متعددة في ظل ضعف الامكانات المادية المتاحة. كما يبرز تحدي غياب سوق عمل حقيقية تسمح بالتخطيط للوظائف والاختصاصات المطلوبة. ورغم أن لبنان يضم عددا كبيرا من حملة الشهادات العليا، إلا اننا نواجه نقصا حقيقيا في الكفاءات النوعية المطلوبة عند التوظيف في اختصاصات معينة.

■ هل لا يزال لبنان يحتفظ بمكانته كمركز للتعليم العالي في المنطقة أم أن هذه المكانة مهددة؟

> **لبنان يحتاج توجيها وطنيا متكاملا**

□ يمكن القول ان هذه المكانة اصبحت مهددة بالفعل امام الازمات المتعاقبة. ومع ذلك، لا تزال هناك ثلاث أو أربع جامعات لبنانية تصنف في المراكز الأولى عربيا وعالميا. لقد بدأت النظرة للتعليم العالي في لبنان تهتز منذ عام 2017، ثم تفاقمت مع ازمة كورونا وما رافق ملف الطلاب العراقيين من لغط. هذا ادى الى توقف بعض الدول عن الاعتراف بشهادات جامعات لبنانية معينة، واصبحنا نراسل الدول العربية لطلب "اعتماد" لبرامجنا وجامعاتنا، وهو امر لم نكن نعاني منه سابقا. في المقابل، تمكنت دول الجوار (خاصة الخليج والاردن) من انشاء جامعات حديثة ومجهزة بأفضل الخبرات العالمية بفضل امكاناتهم المادية، مما خلق منافسة قوية لنا.

■ هل لديكم احصاءات عن عدد الطلاب اللبنانيين الذين يختارون الدراسة في الخارج سنويا؟

□ من الصعب الحصول على احصاء دقيق بنسبة 100% لأن هناك لبنانيين مقيمين في الخارج اصلا. لكن بالنسبة إلى الطلاب الذين ينهون المرحلة الثانوية في لبنان، فان التقديرات تشير الى أن حوالي الثلث يغادرون للدراسة الجامعية (البكالوريوس)، وتزداد هذه النسبة في مرحلة الماجستير. لقد ارتفعت نسبة الطلاب المهاجرين تعليميا بشكل ملحوظ بعد الانهيار المالي والازمات الاخيرة.

■ ما هي الاسباب الرئيسية التي تدفع الطالب اللبناني للهجرة التعليمية؟

□ السبب الأول هو الوضع الاقتصادي والمالي والامني، يليه تدني مستوى الثقة في استقرار المستقبل في البلد. كما ان ضيق سوق العمل اللبناني هو الهاجس الأكبر، فلبنان يفتقر للاقتصاد المتنوع والصناعات التي تستوعب خريجي كل الاختصاصات، مما يدفع الطالب لبناء مستقبله في الخارج منذ البداية لضمان فرصة عمل اكيدة.

■ ما هي الوجهات الدراسية المفضلة للطلاب اللبنانيين بحسب اختصاصاتهم؟

□ الاختصاصات الطبية (طب عام، صيدلة، طب اسنان): يتوجه الطلاب بكثافة نحو دول الاتحاد السوفياتي سابقا (أوكرانيا، جورجيا، بيلاروسيا، روسيا، بلغاريا، رومانيا). السبب للاسف هو العقلية الاجتماعية التي تصر على لقب "طبيب أو مهندس". وبسبب صعوبة مباريات الدخول في لبنان، يلجأ الطلاب إلى هذه الدول لسهولة شروط القبول فيها (ضعف المعايير الانتقائية) وانخفاض تكاليفها، لدرجة أن 85% من المتقدمين لامتحان "الكولوكيوم" في لبنان يأتون من اربع أو خمس دول فقط من هذه الوجهات. اما مجالات الهندسة، التكنولوجيا، العلوم الإنسانية: التوجه الاساسي يكون نحو أوروبا التقليدية (بريطانيا، المانيا، فرنسا، ايطاليا)، تليها أميركا وكندا. ◄

■ هل تخشون من تحول الهجرة الدراسية الى هجرة دائمة للكفاءات؟
□ هذا الامر لم يعد مجرد خشية، بل اصبح واقعا ملموسا، فعدد الذين يعودون بعد انتهاء دراستهم ضئيل جدا مقارنة بمن يغادرون، وهذا يشمل كل الميادين من دون استثناء (الصحة، الهندسة، ادارة الاعمال، وحتى الفنون).

■ ما تأثير هذه الهجرة على مستقبل لبنان، وكيف يمكن استعادتهم؟
□ لاستعادة هذه الكفاءات، يجب أولا توفير فرص عمل ومناخ استثماري ونمو اقتصادي يسمح لهم بانشاء شركاتهم الخاصة. عودتهم ستفيد قطاع التعليم العالي من خلال التفاعل مع خبراتهم. طالما غاب الاستقرار، ستظل هذه الكفاءات في الخارج.

■ هل بدأ لبنان يفقد اختصاصات معينة؟
□ نعم، هناك اختصاصات فقدت جاذبيتها. نعاني من نقص هائل في الاقبال على كليات التربية (بكل مهنها من معلمين ومرشدين ومنسقين) لأن الرواتب في القطاع الرسمي اصبحت زهيدة جدا، وحتى في القطاع الخاص لا تلبي الطموح وحتى ان المتخرجين في هذا المجال يتوجهون الى دول الخليج أو كندا وغيرها من الدول. كما ان هناك تراجعا دراماتيكيا في

> **سوق العمل يفرض خيارات الطلاب**

اعداد طلاب الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، التاريخ، والجغرافيا، فحتى اقسام اللغة الفرنسية مثلا بدأت تغلق.

■ من المسؤول عن توجيه الطلاب، ولماذا نرى فائضا في اختصاصات معينة؟
□ الطلاب يهربون من الاختصاصات العلمية (كالفيزياء) لعدم وجود مهن تقابلها سوى التعليم. في المقابل، هناك اقبال غير مسبوق على اختصاص ادارة الاعمال، حيث تشير الاحصاءات الى أن اكثر من 60% من طلاب التعليم العالي يدرسون هذا الاختصاص. هذا يخلق فائضا هائلا لا يستوعبه سوق العمل، مما يضطر الخريجين إما للسفر أو القبول بوظائف ذات رواتب محدودة لا تتناسب مع اختصاصهم.

■ كيف تواكب الجامعات اللبنانية التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي؟
□ الجامعات العريقة بدأت بالفعل بدمج الذكاء الاصطناعي وتعديل مناهجها (مثل الانتقال من التسويق التقليدي الى الرقمي). هناك مشاريع حالية بالتعاون مع البنك الدولي والوكالة الجامعية الفرنكوفونية (AUF) لتعزيز هذا الحضور. ومن المتوقع ان تشمل هذه البرامج قريبا اكثر من 22 مؤسسة جامعية من اصل 48 موجودة في لبنان.

■ هل هناك امل في استقطاب الطلاب العرب مجددا للدراسة في لبنان؟
□ نعم، هناك رغبة حقيقية، فقد ابدت وزيرة التعليم العالي في قطر رغبة بلادها في ارسال 2000 الى 3000 طالب سنويا، وكذلك كانت هناك طالبات من الاردن، كون لبنان وجهة محببة لهم. وقامت وزيرة التربية والتعليم العالي الدكتورة ريما كرامي بورشة عمل لتسهيل الامور. لكن للاسف، الحرب الاسرائيلية على لبنان حالت دون تنفيذ هذه الخطط. انا على يقين انه بمجرد استقرار الأوضاع، سيعود الاخوة العرب لاختيار لبنان كوجهة أولى لطلابهم.

■ ما هي رسالتكم للطالب اللبناني الذي يرى أن مستقبله لا يمكن أن يكون في لبنان؟
□ ادعو الطلاب للايمان بجودة جامعاتنا التي تثبت كفاءتها رغم الازمات. نحن في حاجة ماسة الى نظام وطني متكامل للتوجيه الدراسي والمهني يبدأ من المرحلة الابتدائية لاكتشاف مهارات الطلاب وتوجيههم نحو الاختصاصات الحديثة التي يتطلبها سوق العمل. لقد وضعنا هذا البرنامج ضمن "الخطة الخمسية" للتعليم العالي، لكن العقبات المتكررة تؤخر التقدم الملموس. يجب وضع منظومة متكاملة حتى نستطيع توجيه الطالب أو التعرف على مهاراته وميوله من الصفوف الأولى وتوجيهه وفقا لهذه المهارات للاختصاصات الحديثة وما تطلبه اسواق العمل، من دون أن ننسى بأن هناك اختصاصات تقليدية التي هي على نمط التاريخ والرياضيات والفلسفة وعلم الاجتماع. هدفنا هو خلق توازن بين التكنولوجيا والاختصاصات التقليدية (تاريخ، فلسفة، رياضيات) لكي لا تندثر.

81
عامًا
تصميم . انجاز . مثابرة
We Proudly Sponsor
المدرسة الوطنية الأرثوذكسية
Ecole Nationale Orthodoxe
SOFITEL
LUXURY HOTELS
BEIRUT LE GABRIEL
AB Azar Brothers
مطعم جوزف
Restaurant
Restaurant JOSEPH
ASL
Air Sea Land
SUNNY HOUSE
Home Decor